في الثناء على الموناليزا:

كل نظرة تزيدها استفهاما وكل وداع يزيدها عزلة

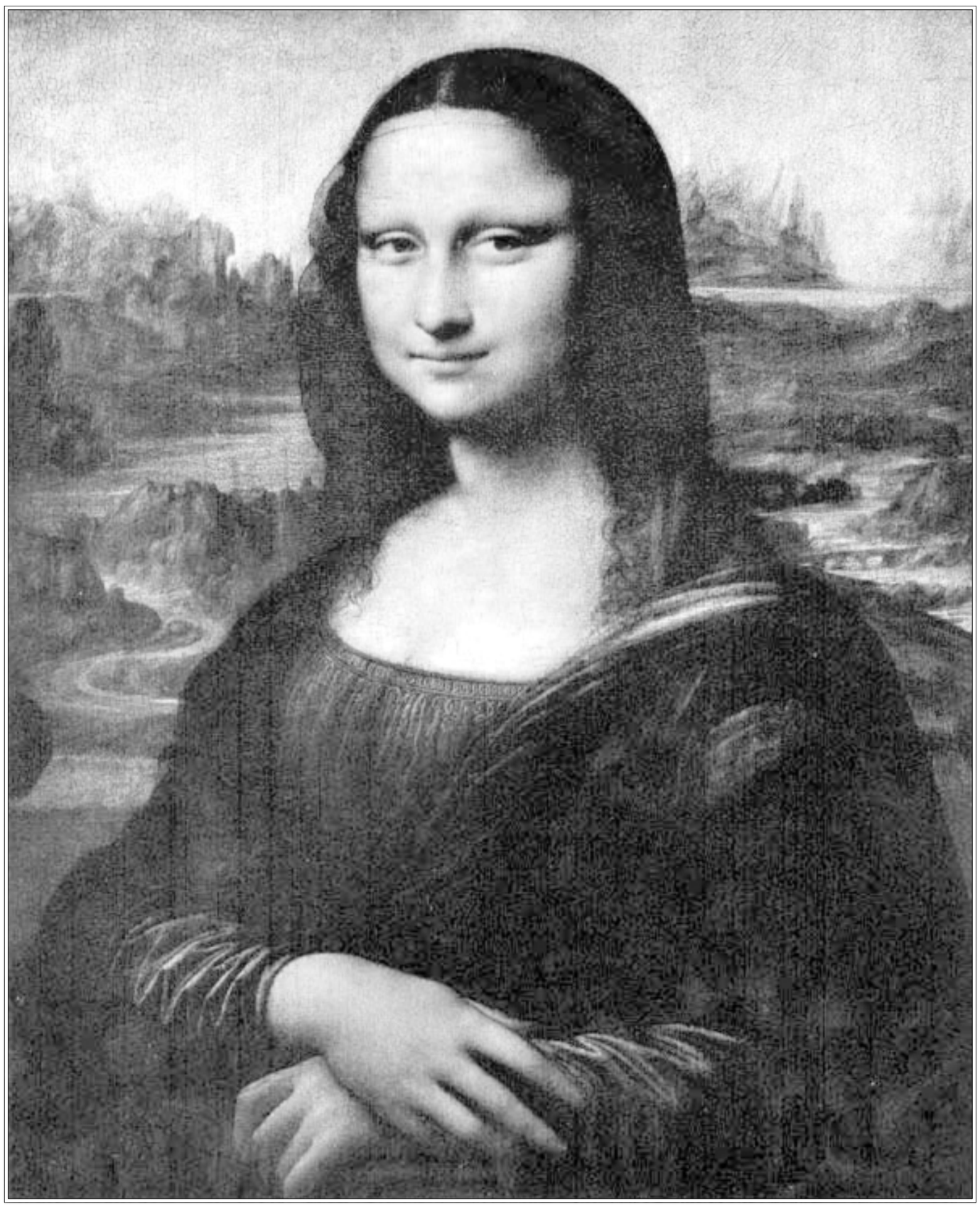

فاروق يوسف*

1

شعبوية لوحة دافنشي كانت تقف وراء نفوري منها وعزوفي عن رؤيتها مباشرة أو الوقوف أمامها متعبدا ومأخوذا مثلما تفعل الملايين من البشر. لقد اجتزت الممر الذي يصل الى القاعة التي تضمها في متحف اللوفر مرات عديدة من غير أن التفت اليها. لم أكن أكرهها، بل كنت اشعر بعناد داخلي يدفعني إلى النأي بنفسي بعيدا عن موقع الضحية المصابة بهلع الشائعة. لا أريد أن اراها وأنا مسلوب الارادة. هناك كذب كثير افقد اللوحة صدقها. فبعد أن تحولت الى ايقونة صارت رؤيتها نوعا من يقين صارم لا يجلب إلا خيالا مقيدا بشروط واقعيته. صار الناس ينظرون إليها من جهة كونها حلا لخيار بصري مستقل عن النظر. حين سرقت واعيدت لم تهتز هيبتها. لم يتساءل أحد ما: هل عادت اللوحة الاصلية الى مكانها حقا أم احتلت لوحة مزيفة مكانها؟ الثقة باللوفر فوق شبهات من هذا النوع. ثم لا أحد من المتيمين بالموناليزا يهمه مثل هذا السؤال. هناك قدر خفي هيأ لهذه اللوحة، دون سواها من لوحات الرسام الايطالي مكانة هي أشبه بالمزار المقدس. فكرة معتوهة تجعل الميزان كله مختلا: اللوفر كله في كفة والموناليزا في الكفة الأخرى. في هذه الحالة لا شيء يجعل الكذب بغيضا، بل يصبح الكذب حقا مشروعا. هناك بشر لا تكتمل بهجتهم بباريس إلا بالنظر إلى الموناليزا. من أجل هذه الفكرة الساذجة يتخلى اللوفر عن صرامته فيستجيب لرغبة سياحية ملساء: يصنع خريطة للذهاب مباشرة الى الموقع المقدس. منذ الخطوة الأولى هناك اشارات تقود قدميك إليها. صورها تنتشر في الاروقة لتدلك اليها. لقد رأيت بشرا لم يكن يهمهم سوى متابعة السهم الذي يشير إلى المكان الذي توجد فيه. فرحهم لا يوصف وهم يجدون الاشارة التي تهديهم إليها. عيونهم لا ترى، أقدامهم وحدها تهذي. طقس الذهاب إلى الموناليزا صنعته الة اعلامية ماكرة تعرف جيدا أن البشر في حاجة مستمرة الى حج، هو في النهاية نوع من استعادة الرضا.

2

ليليا كورنيل (مصورة امريكية من مواليد عام 1978) تكتب يومياتها بالصور. مترفة وسعيدة تصف جسدها لكن بخيلاء متمرس في معرفة ما يجود به الخيال البشري من اشراقات. في واحدة من أروع صورها تنطبق يداها على يدي الموناليزا. تحتل يداها المكان عينه الذي تحتله يدا الموناليزا. صورة تذكر بما تفعله (سندي شيرمان) وهي تلتقط صورا معاصرة تستخرجها من عصر النهضة. يدا كورنيل بكل شغفهما بالممكن الجمالي الذي أعيش فتنة عطره جعلتا الموناليزا خيارا بصريا ممكنا. لقد تساءلت يومها وانا أنظر الى صورة كورنيل: لقد اكتشفت هذه المصورة سر حياة بديلة ليديها في يدي الموناليزا فلم لا يكتشف الآخرون أسرارا أخرى؟ قد تكون كورنيل هي الأخرى ضحية شائعة اعلامية. ولكن ما انتهت اليه كان مدهشا. صورتها توازي الموناليزا من حيث القيمة الجمالية.

3

في كل زياراتي السابقة إلى باريس لم يكن لدي أي اهتمام بالموناليزا، بل انني لا أتذكرها ابدا حين أكون هناك. هذه المرة كانت رؤيتها واحدة من أهم أهداف سفري. لا لشيء إلا لأنني اصطحبت ابنتي الصغيرة معي الى هناك وهي التي صارت تحلم باستمرار برؤية تلك السيدة، سجينة اللوفر. لم تكن باريس بالنسبة إليها إلا منفى لاسطورة عائمة في غموضها. وهكذا دخلت الى اللوفر هذه المرة كما يفعل المأخوذون بسحر الموناليزا، متبعا لهاث خطواتي، سهما بعد سهم، لأصل أخيرا إلى القاعة التي تضم جسد المعبودة. ولم انظر إلا إلى يديها. تأثير كورنيل لم يفارقني، كما لو أنني صرت أرى يديها عالقتين بجسد السيدة التي رسمها ليوناردو. لم افكر بقدسية الأصل. ذهبت افكاري مباشرة إلى الحياة: حياة لم نعشها حقا، هاهي امرأة تستأنفها في كل لحظة نظر. من حق كل انسان يقف قبالتها أن يقول: الموناليزا هي أنا مثلما كان فلوبير يقول: مدام بوفاري هي أنا. الموناليزا هي كل أنا مقابلة ولم يكن ليوناردو إلا منفذا لفكرة الهام خيالية، صارت بمثابة نبوءة. هناك أوهام كثيرة في امكانها أن تجلب اسئلة صامتة تذهب مباشرة الى عيني السيدة المبجلة. لقد تأملتها وأنا في حالة امتناع عن السقوط في سحرها فأحببتها. وديعة جمال لم يستنفد بعد وخزانة لغز أبدي. بالنسبة لابنتي كان اللوفر في مكان والموناليزا في مكان آخر. ما أن انتهت من زيارة سيدتها الغامضة حتى شعرت أن المهمة قد انتهت.

4

حين تذكر الموناليزا فان الناس تتحدث عن أشياء غالبا ما تكون غير موجودة. حكايات تصل الغرائبي بالبديهي وتفعل العكس أيضا. اطنان من الورق كتبت من أجلها من غير أن تذهب مباشرة الى السؤال الحائر: لم هذه اللوحة دون سواها؟ سخرية الدائنين منها وهبتها قوة رمزية مضافة بدلا من أن تزيح الهالة عنها. المعجزة التي اجترحتها الموناليزا تكمن في أنها وضعت طعاما نخبويا على مائدة العامة. حراسها اليقظون هم أشبه بكهنة المعبد الذين يحرصون على أن لا تمس الأكف جسد الصنم الذي ترعاه أفكارهم. الاسطورة في حاجة مستمرة إلى من وما يغذيها. لا يواجه الجمهور لوحة تعيش عزلتها بقدر ما يشعر أنه محاط باشباح امرأة مجهولة تتكاثر مثلما يحدث في المرايا. الموناليزا بالنسبة للكثيرين هي كون من الأسئلة التي تذهب بتفاصيل جسدها إلى قناعات مجردة حتى من الايهام البصري. ذلك لان لوحة دافنشي لا تقول شيئا يشذ عن الوصف التقليدي. صورة امرأة نفذتها يدا عبقري ولا شيء آخر. ولكن للعامة رأي آخر كما يبدو.

القادمون من اصقاع متباعدة من الارض رغبة في رؤيتها لا يهمهم ما الذي فعله دافنشي لتحقق رائعته تأثيرا مثاليا، بقدر ما يحصون نظراتهم المشفقة والمتحسرة لفراق السيدة. ليست الموناليزا كائنا طاردا ولكن التلصص عليها لوقت طويل هو أمر مربك بل ومزعج. لذلك يرضى المشاهد وهو يبتعد عنها من غير أن يدير لها ظهره بجملة من نوع: لقد رأيتها، كانت أجمل من صورتها في الخيال.

كل مشاهد متقهقر سيضيف إلى رصيد الموناليزا جملة تزيد من عزلتها عن المتاح لتسمو أكثر في فضاء المتخيل الضروري لكل عمل فني.

جمل ينعقد بعضها بالبعض الآخر لتشكل سياجا وهميا تقيم الأسطورة وراءه. تستحق الموناليزا أن ترى، كونها عملا فنيا طاعنا في كرامته لا أن تبجل في صفتها صنما تسيل من حوله اكاذيب الكهنة.

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد

تداعيات

إلى الأدباء والفنانين هل نحن جثة هامدة؟

فؤاد قنديل*

■ إسرائيل، الطفل المدلل للغرب، إسرائيل التي حصلت على دعم مذهل ومشبوه طوال قرن من الزمان وحتى الآن، اسرائيل التي اختزل العالم كل عاره فيها، تقف الى جوارها وتحتها وفوقها وأمامها وعن يمينها والشمال معظم دول القارتين الأوروبية والأمريكية، فضلا عن جيوب في كل أنحاء العالم، حتى في الوطن العربي استغفر الله.

هذا الكيان السرطاني الذي نما وترعرع وتغلغل وتوسع وتجذر وانطلق يحيل المنطقة الى شعلة نار وخراب وتدمير لا يكف رجاله عن صناعة البؤر العدوانية، وتحريض القوى الغاشمة لاستباحة الأراضي والكرامة العربية، ولا تفتأ إدارة هذا اللغم الاستعماري عن ابتزاز العالم لصالحها وضد العرب والمسلمين.

هذا الكيان الاستيطاني الذي لا يعرف الحدود، أي حدود لا جغرافية ولا تاريخية، لا يعرف حدودا دولية أو قانونية أو انسانية، وبالطبع لا يعرف حدودا أخلاقية، يحلم ويفكر كما يشاء، وينفذ فورا حماقات التهويش من أبنائه.

كائن خرافي خلقت رأسه من شر محض، بذرة شر أسطورية، أكبر بكثير من صندوق بندورا، تتفجر ذراته كل دقيقة بالدمار والمؤامرات.

يسكره مشهد اللهب الذي يأكل روح العرب، ويتمايل فرحا مع تحطم المباني ومحطات الكهرباء وخزانات المياه التي تسقي البشر الذين في رأيه لا يستحقون الحياة، ويستمع إلى صراخ الثكالى واليتامى والمعذبين والمكلومين الفلسطينيين بسعادة غامرة كأنه ينصت بعبقرية بيتهوفن أو موزار أو كونشرتوتات ديبوس ومندلسون.

كيان عجيب احتارت فيه السياسة والتاريخ والكيمياء والفلسفة والأنثروبولوجيا والديموغرافيا والبيولوجيا، وكذلك علم النفس والاجتماع، احتارت كل علوم الأرض، اما المنطق فقد قرر الانتحار.

هذا الكيان اللغز يقتحم حياة الشعب الفلسطيني الأعزل بعد أن ابتلع أرضه كالثعبان الذي يبتلع غزالة، بصعوبة وصبر وإرادة فولاذية وانحطاط إبليس متمرس.

هذا الكيان اللغم دائم الانفجار والتجدد، يسحق كل شيء من الاشجار والازهار الى لعب الاطفال وأسرتهم، وصولا الى مراكز الثقافة والفنون والمنشآت العلمية ومكاتب الوزراء بل يخطف الوزراء ونواب الشعب حيث يمارس يوميا جرائم على مستوى الدولة، والأكثر مدعاة للتقزز، أن بوش الذي اعتلى عرش العالم بطريق الخطأ المدوي، يردد جملة واحدة مملة مثله: اننا نتفهم تماما مبررات اسرائيل فيما تقوم به ضد الارهابيين. لقد حرثت بريطانيا الأرض العربية للصهاينة ثم جاءت أمريكا فعبدت الطريق، ودقت أوتاد الشرطي الوقح، ما أتعس حظ العرب، انهم لا يملكون شيئا من الأمر ولا حتى الهرب، هل حقا لا يملكون؟!!

ما العمل أيها المثقفون؟. هل ماتت قضية فلسطين في الحقيقة أم في قلوبنا؟ وإذا لم يكن بإمكان حكامنا الدعم المؤثر والمساندة الفاعلة والاحتجاج والرفض، وتركوا الضحية لقطاع الطرق، فهل نشارك الجميع الصمت المريب؟

هل انتهت كل وسائل التعبير وجفت الينابيع؟ هل انعدمت الأفكار والأخيلة، وعقمت الرؤى والتصورات التي عودتنا إبداع الفن والأدب؟

هل تحولت القرائح إلى أيدي تصفق أو أصابع تمسك «الصاجات» أو طبول للراقصات؟ أم تهشمت كاميرات السينمائي والإعلامي وتطايرت مع الرياح ريشة الفنان التشكيلي، وتحطم قلم الشاعر، أم تراها ذابت حكايات القصاصين والروائيين في دخان الفراغ الحائر بين الهزيمة والموت؟

هل يجب أن نشارك جميعا في الاعلان عن موت العرب؟ وإذا كانوا قد ماتوا فليدفنوا أنفسهم ويخلوا المنطقة لتتمدد فيها اسرائيل وبعض القواعد الأمريكية التي ستتولى شفط البترول واحتلال المنطقة المركزية على الكرة الارضية.

إنها مأساة حقيقية تختزل أسود أيام العرب، لكن الأدباء والفنانين - في زعمي - خارج كل أشكال الوصاية، بل خارج مدارات الموت خلق الله أرواحهم المبدعة ضد رصاص الانكسار أبدا لن يكفوا عن المقاومة حتى لو طالت فترة النوم البليد، وتسللت إلى النفوس انفلونزا اليأس المستبدة.

لابد أن تتحرك تلك الأذرع المتدلية، وتخرج من شرنقاتها المتكلسة فراشات الابداع الغاضبة، وتنطلق الانفعالات لتعانق التشكيلات الجمالية الملهمة.

أنا لا أدعو إلي توجيه الفنانين ولا إرغامهم أو فرض الموضوع الوطني عليهم مهما كانت قداسته، لكني أتصور أن ثمة عملاً إيجابياً إزاء العدوان المتواصل ليل نهار. أي شعب في التاريخ جرى له ما جرى للشعب الفلسطيني من الطرد والسحق والتجويع والاعتقال والاغتيال؟ هل ما جرى للهنود الحمر مثل ما جرى مع الهنود العرب؟

الغرب يتفهم تماما مبررات اسرائيل فيما تفعل، فمن يتفهم مبرراتنا في الصمت، الأجيال الحالية أم القادمة، التاريخ أم العالم؟ لا تتفهم ذلك حتى القوى الظالمة.

لابد أنكم غاضبون، وإذا لم ينفثئ الغضب إبداعا، انفثأ موتا، فارسموا المشهد الحزين الذي مضت عليه عشرات السنين، لكنه الآن أفدح، ويقف شامخا يخرج لكم ألسنة السخرية ويزرع في قلوبكم حشيش المهانة والذل.

انفخوا من أرواحكم في النفوس التي أسكرها خمر السكوت المعتق لعل الرماد يصبح جمرا، لا تقولوا: لفلسطين رب يحميها.

مستحيل أن يكون هذا حالنا، لأننا ندرك أن الدفاع عن الكرامة هو المجد الحقيقي، ولا حياة دونها، حتى لو كان الصدر مزينا بالنياشين والجسد ممدداً على أسرة الرخاء الناعمة.

إذا كان هذا حال الجميع فلا يجب أن يكون حال المبدعين المقاومين الشرفاء، الذين يؤرقهم شغف الضمائر بالعدل وتشوقهم للحرية، سحقا لمن يتشدقون بأراجوز السلام الاستراتيجي وخياره المستحيل.

دبجوا القصيدة المتوحشة والقصة الراصدة لعذاب الفلسطيني والملهمة للكفاح، ارسموا واعزفوا الألحان، واصرخوا غضبا، وألقوا على الممثل المشؤوم الذي بسط الظلام على المنطقة بعض الأحجار الصغيرة، لعلها تبعد عنا قليلا تلك الخفافيش التعسة، ولعلها تحرك من لا يتحرك من الأصنام المذهبة.

وافتحي يا كل المنابر نوافذك الرحبة المخصصة لبرامج الترفيه والعري والقهقهة حتى يطلع الغضب الأدبي وانفعالات الحزن النبيل. المبدعون يدخنون على المقاهي وعلى الأرصفة في انتظار ما لا يجيء. المبدعون يتجرعون الأسى مع الشاي وعصائر القلوب المهروسة. اغضبوا ارجوكم وارفضوا الاعلان عن موت العرب اغضبوا كثيرا، كثيرا، أو، أو..

* كاتب من مصر

سد مثقوب للطوفان

مؤمن سمير *

أتعرق كثيراً، كلما تأخر عليَّ الكابوس،
أو نظر أحدهم لقلبي وأنا أحتمي بأي جدار.
لكم أنت ضئيلة وناعمة يا يد حبيبتي،
رغم أن هواءك يضطرب وتمور أعصابك
كلما تلامسنا، حتى أن عابرين اقتنصوك
وعلقوك على مداخل أبوابهم،
فلم يبق من كل هذا الألق، إلا غصة تشبه الزورق.. أوحشتني والله،
أنا الآن أسافر بحثا عن النار كي يصنع مني الحريق لوحة
بلا ثقوب تتسرب منها الأمطار،
وقبل أن أنام أعوم في الصمغ لتنسد المداخل.
فلتطمئني، سوف أمسح من ذاكرتنا كيف طفا الزجاج
بعد أن انطبعت عليه الجزيرة التي بنينا عليها بيتاً يحاكي المجداف.
وكيف مات أبي مختنقاً بعَرَق الذكرى
وكيف امتنعت عن لمس الورق
أو ملاغاة القماش حتى طرت من فوق السطوح نقياً،
يتفصد مني الريش المبلول.
أتعرق كثيراً
كلما تأخرت الحياة
وكلما ركضت وكلما شالت نفسها من عليَّ
ويوم يبتسم الرب لبكائي - الرب الطيب -
ويمتزج الماءان
سوف أصنع سماءً
أكثر كرماً
من بحر المحبة.

* شاعر من مصر

اصدارات جديدة

صدور رواية «الخطايا» للكاتب والمسرحي أحمد الفطناسي

المغرب - «القدس العربي» - من عبد الحق ميفراني:

صدر عن مطبعة دار وليلي للطباعة والنشر بمراكش رواية «الخطايا» للكاتب والمسرحي المغربي أحمد الفطناسي. الرواية تقع في 88 صفحة من القطع المتوسط. يحتوي غلاف النص الروائي على صورة لأحد أحياء المدينة القديمة بآسفي، وقد سبق للكاتب أحمد الفطناسي أن أصدر سنة 2003 محكيات «ملح دادا» عن منشورات حوض آسفي، كما قدم المسرحي أحمد الفطناسي ريبرتوارا غنيا لمسرح الهواة، إذ أخرج المسرحيات التالية: كانا ينمنما 1999 - نشيد النوارس 2000 - اكليشيهات 2001. حلقة بصح 2001 - لاكلاس 2002 - كافيه سوسيال 2006. الكاتب أحمد الفطناسي هو من مواليد مدينة آسفي 1955، رئيس فرقة مسرح رؤى، مؤطر لورشات تكوينية في المسرح، عضو هيئة التحرير لجريدة «أبواب الثقافية» فصلية.

ونقرأ على غلاف الرواية التقديم التالي: «يبحر بنا المبدع أحمد الفطناسي في روايته «الخطايا»، في ثنايا ذاكرة مثخنة بجراحها، وآلامها، في اغتراب إنساني قلما التفت السرد المغربي إليه، «الخطايا» غوص في ذوات متشظية ووجدان جماعي يأسر بتعدد صيغ الخطاب..وفي متاهات الأمكنة/ الذاكرة جرذ للمنسي وللهامش عبر قوالب حكائية تحفر صياغاتها وتحمل مقولها. وإذا كانت «الخطايا» أول نص روائي يطل من خلاله المبدع أحمد الفطناسي على المشهد الروائي المغربي بعد صدور محكياته «ملح دادا» 2003 والتي احتفت بشعريتها، فانها نص يحكي حكاية مدينة محفورة في الذاكرة وفي استيهامات ساردها ورواويها المهووس بمجازات الجدران والنوافذ والأقواس والأبواب والناس،مدينة أريد لها أن تكون صدى لآلة جهنمية، وفي النص احتفاء بالموروث الشفوي في تناصات هذا المقول وهذه العتبات التي تؤثث ثنايا النص ولعل حامليها شهداء حقيقة مضافون لراو مثقل بانكساراته.. شخوص الخطايا عابرون في اتجاه المنسي الذي يخطه الراوي كشهادة توثق هذا المنسي فينا. «الخطايا» رواية تستحق منا القراءة، لأنها تستحق منا العودة... ».

نشر أعمال جديدة للفيلسوف عبدالرحمن بدوي

أبوظبي - «القدس العربي» - من جمال المجايدة:

قال مكتب شؤون الإعلام للشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء الاماراتي انه قرر نشر ثلاثة مخطوطات للفيلسوف المصري الراحل عبدالرحمن بدوي، وذكر ان هذه الاعمال لم تُنشر من قبل، بعد أن كُشف النقاب عن العثور عليها أثناء فهرسة مكتبة الراحل الكبير المُهداة من ورثته لمكتبة الإسكندرية.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن مركز زايد للتنسيق والمتابعة قبل إيقاف أنشطته عام 2003، كان أول من عني بالإرث الفكري للفيلسوف بدوي، فتكريماً لإسهاماته الجليلة في إثراء الفكر الإنساني بادر بإقامة احتفالية تأبينية عقب وفاته ثم أصدر عنه مؤلفاً جامعاً بعنوان «عبدالرحمن بدوي رائد الفلسفة العربية» قدّم عبر صفحاته إضاءات حول سيرته الحافلة وآرائه الرائدة.